هذه النظرة التجزئية النثرية التي طغت على تحليل الرواية من حيث «المضامين»، أدت بصورة تلقائية إلى دراسة جمالية متفرقة تقتطع من الروايات بعض جوانبها دون أن تصل إلى تقديم تصور شمولي عن بنيتها الجمالية العامة.

فتحت عنوان: «بناء الرواية»، يتناول الناقد، وهو بصدد دراسة رواية «صراخ في ليل طويل» لجبرا إبراهيم جبرا، بنية الزمن الروائي وحدها مُظْهِراً أن الرواية تحتوي على مستويين للزمن:

ـ المستوى المباشر والحاضر (قُرابة نصف يوم).

ـ مستوى تاريخ حياة «البطل أمين». (قرابة ثلاثين عاماً). (ص: 22 - 23).

ويستنتج محمد كامل الخطيب من ذلك كله بالإضافة إلى اعتماد الرواية على صوت الشخصية الرواية الواحدة، بأن الرواية هي أقرب إلى أن تكون قصة قصيرة (ص: 23). وهذا حكم تصنيفي يغامر في مضمار نظرية الأنواع الأدبية الشائكة. ونكتفي هنا بالقول إن الاعتماد على التكثيف الزمني، والصوت الواحد لا يؤدي بالضرورة إلى اعتبار الروايات قصصاً قصيرة في الوقت الذي يتفق فيه أغلب النقاد مثلاً على اعتبار رواية «أوليس» لجمس جويس تنتمي بحق إلى هذا الفن مع أن أحداثها تجري في يوم واحد. كما أن صوت البطل الفرد يهيمن عليها بشكل كلي[135]. إنّ المقياس الفني الذي يعتمد عليه الناقد لإصدار مثل هذا الحكم يقوم على تبني تصوُّرٍ مسبق لما هي الرواية؟ وهو لا يخفي هذا التصور المرجعي الذي يمكن اعتباره بمثابة «قانونٍ أساسٍ» يُحدد مفهوم الرواية، فهو يرى أن الرواية، هي التي «يكون مدارها ـ عادة ـ جماعةً ما، في مرحلة طويلة نسبياً. وذلك هو الفيصل بين القصة القصيرة، والرواية وليس عدد الصفحات» (ص: 23).

ويمكننا أن نفهم تلقائياً أنه يستحصر هنا نموذج روايات القرن التاسع عشر كشكل نمطي ومجرد لكل عمل روائي ممكن. وهذا المقياس الجمالي لا يخلو من دلالة على التوجه الاجتماعي لممارسته النقدية الذي يُحدِّد نفسه (أي التوجه) في إطار إديولوجي واضح. ونشير هنا إلى أن اختيار الناقد لرواية «الثلاثية» لنجيب محفوظ ـ فيما بعد[136] ـ كمرجع للنموذج الروائي الناجح، والجيد، يسير في هذا الاتجاه نفسه بحكم أن هذه الرواية أخلصت للنمط الروائي الذي ساد في أوروبا خلال القرن التاسع بما تحقق فيها

---

(135) أنظر الاشارة إلى هذه الهيمنة الكلية لصوت البطل في رواية جويس في دراسة لـ R.M. Alberes: **James Joyce et la naissance du monologue intérieur.** dans son livre: **Métamorphose du roman.** A Michel 1972. P. 188.

والناقد لا يجادل أبداً في أن عمل هذا الكاتب هو رواية وليس قصة قصيرة.

(136) أنظر ما كتبه محمد كامل الخطيب عن الثلاثية في كتابه: **الرواية والواقع**، ص —112